الجماهيري ، الفن الذي يغتسل بالحياة اليومية وباللغة اليومية ، لكنه يبتعد عنها بمقدار ما يريد جعلها أكثر قابلية للحياة . ولئن يبدو بناء هذه القصيدة متناغما ، فانه يتميز بعدم سيطرة الشاعر على شعره . الشاعر والشعر هما طرفان في عمل واحد . وصيرورة هذا العمل تدمجهما بشدة وبمرارة لا واعية . هذا الاندماج لا يلبث ان يتفكك في قصيدة **مئة سنة على كومونة باريس** . النبرة هنا نبرة واعية والبناء الشعري اكثر تماسكا وان افتقد الى الحرارة التي رافقت القصيدة الاولى .

٢ — مئة سنة على كومونة باريس تحاول ان تسجل لاول ثورة بروليتارية في العالم . ووضعها الى جانب عمان في ايلول هو شيء طبيعي ، لا بل حتمي . فالثورة الفلسطينية التي تراجعت في ايلول امام دموية الامبريالية وانظمتها تذكر بالسقوط العظيم لكومونة باريس . للرجال « الذين حاولوا ان يقتحموا السماء » تقسم القصيدة الى ثمانية اناشيد . ومنذ النشيد الاول « الحب الاول » يظهر البطل . انه ليس فرديا ، انه الطبقة العاملة . البطل هو :

« أول عبد

يتجرأ

أن يمشي

منتصب الظهر » .

وفي النشيد الثاني من « باريس الى بتروغراد » تأتي دروس الكومونة . فالكومونة التي سقطت كانت الخميرة التي منها انفجرت ثورة اوكتوبر السوفياتية .

« لم تكن تعرف

انك انت المقتول بآذار

ستهب كعاصفة اعصار

ذات نهار

من اوكتوبر »

بعد هذا التقديم ، تتوالى لوحات تصوير الثورة . فنشيد « لحظات قبل الوضع » يصور خيانة البورجوازية الفرنسية ، التي فجرت اللهب الثوري . هذا اللهب سيحول الدنيا الى « حديقة ازهار بورية » . تحتضن المولود الاول من نوعه . وفي النشيد الرابع يلقي زياد الضوء على الطبقة صانعة الكومونة ، «الخارجون من احشاء النهار» و « النابتون كالمطر » .

« هبوا كالريح

كعاصفة تكتسح السبع سماوات »

وفي النشيد الخامس « بين الحلم والواقع » حيث يصور الشاعر الكومونة بارق الكلمات ، يستعير صوته من ناظم حكمت ، ليصف الكومونة على انها :

« انضر عذراء واشهاها

اجملها اروعها واقساها »

هذه العودة الى عذرية القتال وقوته وجماله تمهد للمجزرة الدموية . حين نسمع في النشيد السادس صوت الراوي يخبرنا عن اتحاد الغالب والمغلوب تيير وبسمارك وكيف اتحد هذا الاتحاد :

« والوف العمال الشهداء

اصحاب الافرهولات الزرقاء

فرشت ابدانهم الدافئة المقتولة

نصف العاصمة الشرقي »

ويعود توفيق زياد في النشيدين الاخيرين مستعيرا صوت بني الايام الى تفاؤله المطلق بالشعب وبحركة التاريخ . فبومضة عين استطاع التاريخ العملاق ان يقطع مئة عام ، والجوع الى الحرية هو محرك التقدم :

« والجوع الى الحرية كان

والجوع الى الحرية ما زال

الاجمل والاقسى

في تاريخ الانسان

في كل زمان ومكان » .

رؤيا الشاعر في القصيدتين واحدة . انها العمل في سبيل ان يتحول الصوت الشعري الى صوت جماعي . والشاعر يندرج في حركة التاريخ ، فهو لا ينفصل عنها انه يحاول عبر ربط القضيتين القومية والاممية ان يشير الى العدو . فكما تعاون تيير وبسمارك تعاون النظام الاردني والامبريالي . وفي الحالتين سقطت المحاولة الثورية في دماء ابنائها ، لكن الحركة الثورية مستمرة ، والتاريخ اصدر حكمه القاسي ، والنصر هو فترة نضال